المبحث الأول

وسائل الترغيب في دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم).

المطلب الأول: الوسائل القولية.

أولاً : المثل.

ثانياً: القصة.

المبحث الثاني: وسائل الترغيب

الوسيلة: الوصلة، والاتصال، وهي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويقترب به، يقال: وَسَل إليه وسيلة وتوسل (١).

وفي هذا المعنى اللغوي لكلمة (وسائل) يمكننا تعريف وسائل الترغيب بأنها (ما يتوصل به إلى الترغيب من قول أو فعل).

وعلى هذا يمكننا تقسيم الوسائل الترغيبية إلى قسمين أساسيين:

أ ــ الوسائل القولية.

ب ــ الوسائل الفعلية.

ونريد بالوسائل القولية: جميع ما يُعين المرغَّب في ترغيبه من أمور قولية، مكتوبة كانت أو منطوقة: كالقصة والمثل (على سبيل المثال).

ونريد بالوسائل الفعلية: جميع ما يُعين المرغَّب في ترغيبه من أمور فعلية: كالرفق والحلم مثلاً.

ونظراً لكثرة الوسائل وتنوعها سأكتفي في هذا المبحث بالكلام عن أربع منها، أولاهما للوسائل القولية، وأخراهما للوسائل الفعلية.

---

(١) انظر المعجم الوسيط مادة (وسل). والنهاية في غريب الحديث (٩/ ١٥٨)، ولسان العرب (١١/ ٧٢٤، ٧٢٥) والقاموس المحيط ٤/ ٦٥).

المطلب الأول: الوسائل القولية:

أولاً: وسيلة الأمثال الترغيبية:

لقد عني القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ بضرب الأمثال لمالَها من أثر فعّال في هداية النفوس وجذبها إلى الخير لأنها تصور الأشياء تصويراً محسوساً لتقربها إلى النفس فيسهل فهمها وقد احتلَّ المثل في دعوة النبي ﷺ مكانة عظمى، وذلك لترغيب المدعوين في الاستجابة والاقتناع.

جاء في كتب اللغة: (المَثَل بفتحتين، والمِثْل بالكسر، والمَثيل كالشَبِيه والشِبْه والشبيه وزناً ومعنى في الجملة وهو من (مَثَلَ الشيء مُثولاً) إذا انتصب بارزاً فهو ماثل، ومَثَلُ الشيء بالتحريك صفته التي توضحه وتكشف عن حقيقته. أو ما يراد بيانه من نعته وأحواله) (١). (وقد يكون تمثيل الشيء أي وصفه والكشف عن حقيقته عن طريق المجاز أو الحقيقة بتشبيهه وأبلغه تمثيل المعاني المعقولة بالصورة الحسية وعكسه ومنه الأمثال المضروبة) (٢).

وعن تعريف المثل أيضاً يقول صاحب فتح البيان: (هو عبارة عن قول يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره) (٣).

حاجة العمل الدعوي إلى وسيلة المثل الترغيبية:

لحكمة من الله العلي القدير أكثَرَ في كتابه المبين من الأمثال المختلفة الصور والموحدة الهدف وهو ترغيب الأفراد فيما فيه صلاحهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، لذا فليس من المستغرب أن يكثر النبي ﷺ من الأمثال في

(١) لسان العرب، لابن منظور ج ٦ ص ٤١٣٢ و ص ٤١٣٣ (مرجع سابق).

(٢) تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٦٧ (ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوجي ج ١ ص ٦٢ (ب: ت، دار الفكر العربي).

تقريراته وعباراته، وهذا بلا شك يدل على أهمية الأمثال وعظم تأثيرها في الوصول إلى الهدف المنشود والغاية المقصودة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجليلة الواضحة المعلومة، ثم اتباع ذلك بالإخبار عن النتيجة التي قد علم من أول الكلام أنها هي المقصود بل إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد من ذكره، وينتفع بمعرفته، فذلك هو البيان وهو البرهان، وأما ما لا حاجة إلى ذكره فذكره عيّ» (١).

فهي وسيلة من أعظم الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم في إظهار حقائقه ومعانيه الخفية، التي قررها ليهتدي بها مَنْ هداه الله إلى فوزه، وبغيته في الدنيا والآخرة (٢).

لذا نقول بأن الأمثال القرآنية والنبوية تعتبر من أكمل وسائل الترغيب، ومن أمضاها وقعاً في النفوس، وأشدها تأثيراً على القلوب، وأبلغ عملاً في الوعظ، وأقوى بلاغاً في التشويق، وأقوى حجة في الإقناع، وأفحم رداً للمعاند والمكابر.

وهذه ميزات لا يمكن أن يستغني عنها المرغِّب بحال من الأحوال، ولا في بيئة من البيئات ولا في زمن من الأزمنة، وإلاَّ كانت دعوته قد فقدت شيئاً من أهم وسائل الإقناع المثالية.

---

(١) مجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم ج ٤ ص ٦٢ (ط: مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ب: ت، بإشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب).

(٢) الأمثال في القرآن الكريم، د. الشريف منصورين عون العبدلي ص ٢١ (ط: أولى ١٤٠٦ هـ، عالم المعرفة، جدة).

(فمن كمال الدعوة أن تقرَّب فيها الأحكام من النفوس، ويُزاح فيها ما يحوم بالقلوب من شبه، وتمثيل المعقول بالمحسوس، والمجهول بالمعلوم كثيراً ما يسلك لهذا الغرض النبيل) (١).

(ولقد تناولت الأمثال مجالات عدة، فمثلت الإيمان، ومثلت الكفر، وفضحت النفاق، وحضّت على الإنفاق، ونادت بالخير، ونددت بالشر، وصورت الطيب والخبيث والصالح والطالح) (٢).

وكثرة الأمثال في القرآن الكريم فضلاً من الله ورحمة بالأمة الإسلامية حتى تستقر المعاني في قلوب أجيالها المتلاحقة.. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾.(٣)

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ (٤) لأن غرضه ليس بيان الحق فقط، بل تعميق مجراه في القلوب (٥).

وهكذا فالأمثلة كثيرة والشواهد أكثر في السيرة النبوية والسنة المطهرة لاستخدام النبي ﷺ هذه الوسيلة في الترغيب وسيتضح ذلك فيما يأتي.

---

(١) الأمثال في القرآن؛ للعبدلي ص ٥٧ (مرجع سابق).

(٢) انظر الأمثال في القرآن للدكتور. محمود بن الشريف. المقدمة ص ١٢ (ط: رابعة ١٩٨٥م، دار مكتبة الهلال بيروت لبنان).

(٣) سورة الروم آية ٥٨.

(٤) الإسراء آية ٨٩.

(٥) نظرات في القرآن محمد الغزالي ص ١٣٣ (ط: خامسة، دار الكتب الحديثة، القاهرة).

أغراض المثل الترغيبية:

لما كانت الأمثال من الوسائل البيانية غير المباشرة للتعريف بما يراد الترغيب به، وكانت من وسائل الترغيب التي استخدمها الرسول ﷺ كان اللجوء إلى ضرب الأمثال (١) لا يخلو عن غرض يدعو إليه، ولدى تتبع الأمثال في القرآن الكريم والسنة المطهرة تكشفت لنا الأغراض التالية:

١ ــ تقريب صورة المرغَّب به إلى ذهن المخاطَب.

فقد يكون لدى المخاطب نوع جهالة حول المرغب به، ويراد رفعها عنه والتمثيل قد يكون وسيلة سهلة للتعليم ورفع الجهالة، بل ربما كان أحسن الوسائل عند تعذر إحضار المرغب به، أو إحضار صورته بالفعل أمام المخاطب الذي يراد رفع الجهالة عنه كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢) فيحدثنا الله تبارك وتعالى عن الحور العين في الجنة، وهن ذوات صور يمكن أن تدرك بالحس الظاهر، ولكنهن مجهولات لنا، بعيدات الآن عن إدراكنا الحسي، وعن تصوراتنا الخيالية فيقرب الله لنا طرفاً من صورة لون بشرتهن ونعومتها فاللؤلؤ المكنون المحفوظ مثال لألوان بشرتهن ونعومتها بصفة تقريبية، مع الفارق العظيم بين المرغَّب به والممثَّل به.

«إن المتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته، وكأن المثل سُمِّي مثلاً لأنه يمثل في الأطر ويثبت معناه في النفس فيظل ماثلاً حاضراً مؤثراً» (٣).

---

(١) وقد اختير لفظ الضرب مع المثل لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه. تفسير المنار ج ١ ص ٢٣٦ (مرجع سابق).

(٢) سورة الواقعة، آية ٢٣ و ٢٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ج ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ (منشورات دار إحياء الكتب العربية - مصر، القاهرة، ط أولى).

لقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية لفهم هذه الأمور سواء كانت غيبية أو معنوية وقد بلغت حكمة النبي ﷺ غايَةَ في روعة الوضوح من خلال مواقفه كما حصل حين رغب ﷺ في تعاون المسلمين وأن يكون إحساسهم واحداً يتحركون لنصرة بعضهم البعض ويشارك المسلم أخاه في ضيقه وفرجه وحزنه وفرحه فقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه» (١).

ففي هذا الحديث يجلي حقيقة الترابط بين المؤمنين بهذا المثل الحي، إنه ذلك البنيان الذي يتكون من تلك اللبنات المتعددة التي تتراص فيما بينها فيتكون منها قوة عظيمة لذلك البناء.

أرأيت حجارة الجدار؟ ولبنات البيت؟ وطوب الحصن؟ هل اكتسبت أهميتها من ذاتها؟ وهل كانت تغني شيئاً لو بقيت منفردة حتى ولو نفس جوهرها وغلا معدنها؟ إن البناء العظيم المتكون من اللبنات المتراصَّة يقي حر الشمس وبرودة الشتاء، وإليه يفيء الإنسان يطلب السكن والراحة وفي ظلاله يربي أبناءه، ويسكن أسرته ذلك البناء هو الدرع الذي يقي من هجمات العدو، ويهيئ لصاحبه القدرة على المقاومة، ويبوئه مكانة التربص بعدوه لينال منه حقه، ذلك البناء.

هو الذي من خلاله يدير الإنسان شؤونه المتعددة في مجتمعه.

أرأيت هذه المعاني وتلك الفوائد؟ هل يمكن أن تنشأ من خلال حجارة مبعثرة؟ ولبنات مفرقة؟ إنها لن تنشأ بدون جدال ومن هنا كان هذا المثل والتشبيه النبوي العظيم لوصف حالة المجتمع المسلم الذي هو الصورة البشرية للبناء المحكم العتيد.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: المؤمن للمؤمن كالبنيان.

إن في هذا التشبيه أعظم بلاغ لأنْ يعرف المسلم أهمية ترابطه مع إخوانه المسلمين لإقامة المجتمع المسلم، وهو حين يكون متديناً وصالحاً في نفسه ولكنه يعيش حياة الإزورار، وينكفئ على ذاته لا يعدو أن يكون كتلك الحجارة الجميلة المنظر القوية الذات، ولكنها مقذوف بها جانباً فلا يتحقق من خلالها ـ وإن ـ غلت ما سبق ذكره من الوظائف الاجتماعية.

إن فرائض الإسلام وواجباته، منها ما يكون مختصاً بالإنسان وحده وتلك فروض الأعيان، ومنها ما يكون مشروعاً لأجل مصلحة الكافة وتلك فروض الكفايات.

وهذه الفروض الكفائية لا تتحقق في عالم الواقع إلا من خلال البنيان الذي أشار إليه النبي ﷺ، وقد تسول لامرئ نفسُه أن يقتصر على فروض الأعيان، ويدع الفروض الكفائية مع الحاجة إليها، ويظن ذلك غاية التدين وما يدري أن إثم التقصير في فروض الكفايات يتناول عامة المسلمين وهو منهم.

ومن خلال هذا الحديث واجب على كل مسلم أن يفتح بصره وبصيرته على موجبات هذا البناء الذي ذكره ﷺ وذلك بالتفاته للواجبات الشرعية الاجتماعية.

وقريب من هذا التشبيه أو هو مثله ما جاء في حديث النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» (١)

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب المؤمنون كرجل واحد في التراحم والتعاطف.

وفي لفظ: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله» (١).

إن الإنسان محتاج إلى أعضاء جسده، إن اليد وحدها أو اللسان وحده أو العين أو الرجل إذا كانت منفردة لم يتحقق من خلالها منفعة ولكنها حين تلتصق بهذا الجسد وتجري فيها دماؤه تثمر الحركات النافعة والعطاء المثمر ومن هنا يجب أن يدرك المسلم أن قيمته الحقيقية في تفاعله مع مجتمعه وأمته ليحقق لها كل خير يستطيعه.

وهذا مثل آخر يسخره ﷺ للترغيب في الطهارة والصلاة:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دَرَنِه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» (٢).

وفي هذا الحديث الشريف يصور النبي ﷺ أروع تصوير للصحابة رضوان الله عليهم وللمسلمين جميعاً. ويضرب لهم المثل برجل تراكم على جسمه الوسخ فهو يغتسل كل يوم خمس مرات فبالتأكيد لا يبقى على جسده أثر لوسخ ولا درن وهكذا الصلوات الخمس تمحو الخطايا والذنوب كما يمحو الماء الوسخ وذلك للترغيب في إقامة الصلوات الخمس والمحافظة عليها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب المؤمنون كرجل واحد في التراحم والتعاطف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة.

ثم يرغب النبي ﷺ المسلمين في قراءة القرآن الكريم لما لها من أجر عظيم، وثواب جزيل، وقرب من رب العالمين: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة... الحديث (١) فضرب المثل في هذا الحديث بأشياء محسوسة ملموسة يدركها الناس ويتذوقون طعمها ويعرفون طعمها وريحها من جهة الحلو والمرّ والطيب والخبيث .

ومن هذا الباب ترغيب النبي ﷺ في الجليس الصالح:

فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يهديك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» (٢).

وفي هذا المثل ترغيب نبوي للمسلم لكي يبحث عن الصديق الصالح ويرافق الصالحين المتقين فهم مصدر الخير وأن يجالس العلماء والفقهاء.

«فالأمثال تخرج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه، وما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة، وما لم تجرِ به العادة إلى ما جرت به العادة، وما لا قوة له إلى ما له قوة» (٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، وصحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب مثل من يقرأ القرآن ومن لا يقرؤه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب مَثَلُ الجليس الصالح.

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٣١ (منشورات دار الفكر، بيروت، لبنان).

٢ ــ التزيين والتحسين

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، وكل كلام طيب أثنى عليه الله ورسوله ﷺ، وهي الكلمة الطيبة التي يسر بها المسلم، هذه الكلمة ضرب الله مثلاً لها بالشجرة الطيبة المزروعة في الأرض الطيبة، ذات الجذور والأصول الثابتة والمتغلغلة في عمق الأرض، وذات الفروع الممتدة في السماء، وهي شجرة مثمرة لا ينقطع ثمرها النافع في أي فصل من فصول العام، فهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وصورة هذا المثل منتزعة من الواقع المشاهد للناس، مع إضافة شيء من الخيال بالنسبة إليهم ويستفاد من هذا المثل أن الكلمة الطيبة ثابتة الأصل، نامية باستمرار، مثمرة في كل حين.

إن كل كلمة طيبة يقولها مؤمن مسلم يبتغي رضوان الله تعالى ويرجو ثوابه، تنمو عند الله، أما أصلها الثابت فإيمان صاحبها وإخلاصه لله في بذلها، وأما فروعها الممتدة في السماء فبلوغها مستوى القبول عند الله، وأما ثمرها فما تقدمه من أجر بفضل الله لباذلها وزارعها في أرض التقوى والبر

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٤ و ٢٥.

والإحسان. فإذا كانت كلمة تعليم وهداية وإرشاد ونصح لعباد الله، حتى يهتدوا إلى صراط الله المستقيم، وكانت مقرونة بالإخلاص لله، بارك الله فيها، فامتدت وتسلسلت الهداية بها، فما انتفع بها منتفع، ولا اهتدى بها مهتد، إلا كان لباذلها الأول مثل أجور من اهتدى بها وتأثر بها فعمل صالحاً، وهذا من ثمرها الذي تؤتيه كل حين بإذن ربها.

وبهذا المثل الترغيبي الرائع الذي يزين ويحسن المرغب فيه تشتد القلوب المؤمنة للاهتمام ببذل الكلمة الطيبة.

ومثال ذلك أيضاً وصف الجنة وصفاً شيقاً يبرز محاسنها.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (١) (٢).

ومن التزيين والتحسين: المدح والتعظيم «يلجأ المثل إلى الترغيب عن طريق استعراضه لطوائف الناس تجاه الدعوة وبيان مآل كل طائفة، وهذا منهج عملي يجعل المستمع يتمنى أن يكون مع الطائفة الناجية التي امتدحها الله ويبتعد عن الطائفة الخاسرة التي ذمها الله» (٣).

ومثال ذلك ما ضربه الله تعالى من مثلٍ لأصحاب محمد ﷺ في التوراة

---

(١) سورة محمد آية ١٥.

(٢) انظر تفسير البغوي ج ٤ ص ٢٧٦ (مرجع سابق).

(٣) الدعوة الإسلامية/ غلوش ص ٣٧٦ (مرجع سابق) بتصرف يسير.

والإنجيل، وذكره لنا في القرآن بقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

(ونركِّز هنا على وصف أصحاب الرسول ﷺ كما جاء في الإنجيل حيث تناول عن طريق التمثيل والتشبيه مظهر نماء الأمة الإسلامية وتكاثرها وتماسكها ووحدة كيانها، بدءاً من النواة الأولى لهذه الأمة فالقلة الخالصة التي اجتمعت حولها، إلى التكاثر السريع حتى أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

فمثلهم كزرع يبدأ نباتاً ضعيفاً ثم يشتد شيئًا فشيئاً، ثم تنبت من جوانبه فراخه وصغاره ثم يقوى ويشتد عوده، ثم ينتشر في الأرض، عندئذ يعجب الزراع) (٢).

٣ ــ إثارة الطمع والرغبة لدى المخاطَب:

ففي ذلك إثارة للمدعو ليتجه بمحرِّض ذاتي إلى ما يراد توجيهه له يقول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩.

(٢) انظر الأمثال القرآنية عبدالرحمن حبنكة ص ٧٤ (مرجع سابق).

(٣) سورة البقرة آية ٢٦١.

انظر إلى الترغيب هنا، ففي تمثيل بذل المال في سبيل الله ببذْر الحَب في الأرض الزراعية المعطاء الطيبة، إثارة قوية للرغبة في الخير.

إن الناس يعرفون قيمة العطاء الزراعي إذا أقبل، ويشهدون أمثلته الكثيرة في الواقع فإذا كان هذا الإقبال في العطاء الزراعي قد يصل بعملية حسابية بسيطة إلى سبعمائة ضعف لأن الحبة الواحدة تنبت سبع سنابل، والسنبلة الواحدة تحمل مئة حبة، كانت إثارته لطمع الإنسان المزارع والتاجر بطبعه أعظم وأكثر، فأيّ إنسان لا يحب الربح؟

يقول الإمام ابن القيِّم في التعليق على هذا المثل: «شبّه - سبحانه - نفقة المنفق في سبيل الله، بمن بذر بذراً، فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة ... وتحت هذا المثل من الفقه: أنه سبحانه شبه الإنفاقَ بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله، باذر ماله في أرض زكية فغلته بحسب بذره، وطيب أرضه، وتعاهد البذر بالسقي ونفي الدغل والنبات الغريب عنه، فجاء كأمثال الجبال، وكان مثله كمثل جنة بربوة..» (١).

إنه مثل الحياة النامية المتكاثرة المتعاظمة.. في مشهد العُود، وهو يحمل سبع سنابل، والسنبلة الواحدة منها، تحمل مائة حبة.. مَثَلٌ فذٌ حافز لا يملك الضمير البشري - وهو يستطلعه - إلا أن يندفع إلى مزيد البذل والعطاء.. [إنه يصور المعطي آخذا كاسباً، لا معطيا باذلاً، يزيد ماله بعطائه ويتكاثر، لا أنه ينكمش ويتناقص] (٢).

فالغرض من التمثيل، في هذا النص مع بيان حقيقة مضاعفة ثواب

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم ج ١ ص ١٨٤، تحقيق محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت.

(٢) ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب وآثارها في تربية الجيل المسلم، مصطفى عيد الصياصنة ص ٨٥ (ط أولى ١٤١٢ هـ، دار المعراج، الرياض).

المنفقين في سبيل الله إلى أضعاف كثيرة جداً، إثارة محور الطمع بفضل الله في نفس المخاطبين، ليكون هذا الطمع محرّضاً ذاتياً في الأنفس على بذل الأموال في سبيل الله.

وفي الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١) إنها جنة خضراء دائماً، لا تمحل أبداً.. وكذلك عمل المؤمن، لا يبور عند الله ولا يضيع، بل إنه يُنمَّى ويُكثَّر، حتى إذا جاءه وجده أضعافاً مضاعفة.

فنفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال، وإن كانت متفاوتة.. ويجوز أن يكون التمثيل ما بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة، وبين الجنة المعهودة، باعتبار ما أصابها من المطر الكثير والقليل، فكما أن كل واحد من المطرين يضاعف أُكُلها فكذلك نفقتهم - جلّت أو قلّت - بعد أن يطلب بها وجه الله، زاكية زائدة في أجورهم» (٢) ففي هذا إثارة محور الطمع في الإنسان، للتحريض على الإخلاص لله، بابتغاء مرضاته والبذل في سبيله، حتى يكون الباعث ذاتياً من أنفسهم، بدافع من الإيمان بالله واليوم الآخر، ودافع من الرحمة وخلق الجود.

(١) سورة البقرة، آية : ٢٦٥.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ج ١ ص ٢٨٦ (ت: ١٤٠١ هـ، دار الفكر للطباعة).

ثانياً: وسيلة القصة الترغيبية:

القصص: اتباع الخبر بعضه بعضاً، وأصله في اللغة المتابعة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ (١) أي تتبّعي حركاته وسلوكه وأحواله، وقال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٢) أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصَّان آثارهما ويتابعانها. (٣).

وزاوية تعرضي لها - كما هو واضح بالعنوان - تنحصر في كونها وسيلة ترغيبية.

لا شك في أن وسائل الترغيب في أمر من الأمور تقتضي ألا تكون على صورة واحدة، وإلا أدت إلى النفور منها والسأم مما تدعو إليه. ذلك لأن طبيعة النفس البشرية تميل إلى التجدد المستمر وتتأبى على الرتابة المستقرة، وقد تعرضنا إلى الأمثال فيما سبق وما بين أيدينا الآن هو القصة.

والقصة من أهم الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ في ترغيبه.

وذلك لتعلق النفوس البشرية - غالباً - بالحدث الذي تقوم عليه القصة وما يصاحبه من مؤثرات وجدانية وعاطفية، تقتضي التفاعل والاندماج مع القصة وأحداثها.

(والإنسان بطبعه يعقد بين نفسه وبين بَطَل القصة المعروضة مقارنةً خفية - واعية أو غير واعية - فإن ناله خير تمنى أن يكون مكانه وإن ناله شر تمنى أن

---

(١) سورة القصص: آية ١١.

(٢) سورة الكهف: آية ٦٤.

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٤٠٤ (منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت).

يكون هو في نجوة منه) (١).

والقرآن الكريم والسنة المطهرة اشتملا على الكثير من القصص المتنوعة والتي فيها العبرة والامتثال، قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

ومن ذلك يتبين أن القصة (ركيزة قوية من ركائز الترغيب في دين الله القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي - والارتياح الوجداني - بما ترغب به من الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وبما تحمل من مثل في مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء، في سبيل الدعوة إلى الحق، والتوجيه إلى الخير والهدى..) (٣).

أغراض القصة الترغيبية:

الترغيب في القصة الإسلامية قائم على أساس استغلال قوة الرجاء في الإنسان، فعملت القصة على توجيه قوة الرجاء إلى القيم الجديرة بالرجاء، ودفعت بالإنسان إلى التطلع نحو الأفضل في الطريق الصحيح، ومن هنا كان توجيه قوة الرجاء لدى الإنسان في القصة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رضاه ومغفرته، وإلى ما أعده للمؤمنين من صور النعيم المقيم في الجنة التي

(١) الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم/ عبدالحميد زين الدين رضا خوجة ص ٤٨٥ (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير مطبوعة).

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٦.

(٣) القصص القرآني منطوقه ومفهومه. لعبد الكريم الخطيب ص ٨، بتصرف (ب: ت، الناشر دار المعارف، بيروت، لبنان).

هي منتهى آمال المؤمنين، وما أعده الله لهم فيها مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهو النعيم الخالد الذي تظل مظاهره وأصنافه لا مقطوعة ولا ممنوعة.

١ ــ الدعوة إلى الإيمان برسول الله ﷺ وتصديقه:

ففي أحيان كثيرة نجد في قصص متعددة تركيزاً على نبوة محمد ﷺ وأنه مرسل من عندالله، أو التركيز على فضل الرسول ﷺ وبيان مَالَه من المكانة العظيمة عند ربه وما يحظى به من خصيصة الشفاعة الكبرى للناس عامة يوم الحشر العظيم سوى مَالَه من حق الشفاعة لأمته خاصة، وكل تلك الأشياء تحمل في طياتها ترغيباً غير مباشر إلى الدخول في الإسلام والإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه. يقول ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لم ذاك؟ يجمع الله الناس الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فَيُسْمِعَهُم الداعي وَيَنْفَذُهُم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون، فيقول الناس بعضهم لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت

أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟

فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ قال: فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش فأخر ساجداً لربي، ثم يفتح الله علَّي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم

يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي، فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى» (١).

أو حين تصوِّر الرسول ﷺ منذراً صادقاً، يفوز من أطاعه واستَمَعَ إلى إنذاره بالنجاة، وكما نجد مثل ذلك في قصة «قوم سفر» التي تشبه الرسول ﷺ وهو يقوم بتبليغ قومه ويدعوهم إلى الإسلام بالدليل العارف الناصح لقومه الذي يقودهم من مفازة مهلكة إلى بر الأمان وشاطئ السلامة، فيأخذهم من تلك المفازة إلى رياض معشبة وحياض رواء.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): إن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه: للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفرٍ انتهوا إلى مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلّة حبره، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء، أتتبعوني؟ فقالوا: نعم، قال:

---

(١) سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (ط: دار الفكر، بيروت ١٤٠٠ هـ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان). وانظر قصة «أمتي يا رب» في صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ - وقصة «قل تسمع» في المسند ج ٣ ص ٣٤٤ - وقصة «أنالها» في المسند ج ٤ ص ١٨٧، وقصة «عتقاء الجبار» في سنن الدارمي ج ١ ص ٣١ و ٣٢.

فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء، أن تتبعوني فقالوا: بلى.. قال: فإن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه وحياضاً هي أروى من هذه، فاتبعوني، قال: فقالت طائفة: صدق والله لنتبعنه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه» (١).

٢ ــ تحويل الغيبيات إلى واقع محسوس:

فقد اتجهت القصة إلى تصوير جوانب من ذلك النعيم في مظاهر معنوية كما تنقل لنا طرفاً من ذلك قصة «الرضوان» قال ﷺ: «إن الله عزوجل يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً» (٢) والتي تصور إحلال الله تبارك وتعالى رضوانه على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً وهو نعمة معنوية تشيع فيهم الإحساس بالأمن والطمأنينة، النابعة من رضوان الله عليهم.

وكذلك قصة «الموعد» فقد ورد عنه ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٣) وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو؟

(١) مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١٢٩ وقال شاكر: إسناده صحيح، وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٦٠.
(٢) صحيح مسلم، ك: صفة الجنة ٤/ ٢١٧٦.
(٣) سورة يونس آية ٢٦.

ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه. فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم» (١) والتي تصور نعمة النظر إلى الله تبارك وتعالى والتمتع برؤية وجهه الكريم.

فتنقل القصة الإسلامية صوراً حسية كثيرةَ لألوان النعيم في اليوم الآخر كما نجد في قصة «الذي يطلب أن يزرع» حيث يقول ﷺ: «إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فيطلب ذلك» فقال: أولست فيما شئت؟! قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه، واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء» فقال أعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله»(٣).

وقصة «آخر رجل يدخل الجنة» إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، يبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود

(١) صحيح سنن الترمذي باختصار السند ج ٢ ص ٣١٥ ورقمه ٢٠٦٨، محمد ناصر الدين الألباني. ط أولى ١٤٠٨ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب مع أهل الجنة، وفي الفتح، ج ١٣ ص ٤٨٧.

ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا بن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب! ويدعو الله، حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟ ويلك يا بن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله عز وجل منه، فإذا ضحك الله تعالى منه، قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه، فيسأل ربه ويتمنى، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه» (١).

وقصة «اقرأ واصعد» التي تصور ما يلقاه حفظة القرآن الكريم من التكريم والحفاوة يقول ﷺ: «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري وتحقيق الألباني ص ٣٠، ٣١ كتاب: الإيمان، باب في رؤية الله جل جلاله.

أو غيابتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كان تاجراً من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والديه حلتان لا يقوم لهما الدنيا فيقولان:بم كسبنا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً» (١).

وهكذا تنجح القصة الإسلامية في استثمار غريزة الرجاء عند الإنسان حين استطاعت أن تستعمل الترغيب بطريقة تأخذ بيد الإنسان في الطريق الصحيح، فتعده وتمنيه، وفي أثناء ذلك تتوجه به نحو قيم الحق والخير، وترفعه من الوقوع في طريق الشر والضلال.

والقصة للترغيب تبدو في النصوص التي بين أيدينا في أكثر من مظهر ومن خلال عدة أشكال، فأحياناً يكون الترغيب في توحيد الله تبارك وتعالى عن طريق ما تصوره القصة أحياناً من خلال أحداثها من فضل الشهادتين اللتين هما الركن الأول للإسلام، ومفتاح الدخول فيه (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) كما تحقق ذلك في قصة «البطاقة الثقيلة» التي

(١) سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٥١، دار الكتب العلمية، بيروت. باب فضل سورة البقرة وآل عمران. وقال الهيثمي في مجمع الزوائدج ٧ ص ١٥٩ : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح.

تنقل صورة دقيقة ومؤثرة عن أهمية الشهادتين، وثقلهما في ميزان الإنسان حين يعرض على الله في يوم الحساب الأكبر، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يقول ﷺ: (يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر الله له تسعة وتسعين سَجْلاً كل سجل كمد البصر من الخطايا والذنوب ظلم فيما بينه وبين ربه من شربِ خمرٍ وزنا وغير ذلك لكنه يوحِّد الله توحيداً خالصاً وصادقاً ورحمة الله واسعة وإذا ما رحم الله المذنبين فرحمته لمن ستكون! - فيقول الله له أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب فيقول له أظلمتك ملائكتي؟ فيقول:لا يا رب ما قيدت الملائكة إلا ما عملت (فيقول الله له: ألك حسنة؟ فيحتقر العبد نفسه فيقول: لا يا رب ما لي شيء. فيقول الله له: (بلى إن لك عندنا حسنة ولن تظلم) فيخرج الله له بطاقة من تحت العرش بطاقة صغيرة فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيقول يا رب وما تغني هذه البطاقة مع هذه السجلات! فيقول الله له: (أحضر وزنك ولن تظلم) ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾(١) فتوضع السجلات في كفة وتوضع البطاقة في كفة فتطيش تلك السجلات وتتلاشى وتزول وتخف ولا يثقل شيء مع اسم الله فيأمر الله بهذا العبد أن يدخل الجنة» (٢).

---

(١) سورة الأنبياء، آية : ٤٧

(٢) صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، للألباني ج ٢ ص ٤٢٨ باب ما يرجى من الله يوم القيامة.

٣ ــ بيان فضل أمة الإسلام:

تأتي القصة لتبرز حقيقة - المدعو بكل صنوفه في حاجة إليها - وهي: أن الإسلام هو الدين الصحيح، والمقبول عند الله تبارك وتعالى، وبأن المسلمين هم الذين يأخذون الأجر وافياً بقبولهم نور الإسلام وما جاء به، كما تصور ذلك قصة «المستأجر والأجراء» حيث قال ﷺ:«مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا له إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال لهم: أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا واستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»(١).

وتستخدم القصة في الترغيب في الإسلام عن طريق بيان فضل أمة الإسلام التي هي أمة محمد ﷺ على غيرهم من الأمم من ذوي الأديان السماوية الأخرى مما يكون أدعى إلى الدخول في الإسلام، ومثل هذه الدعوة يقصد بها خاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما في قصة «إنما هو

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإجارة، باب: الإجارة من العصر إلى الليل ج ٣ ص ٥٠ و ٥١.

فضلي»: التي تصور العطاء الكثير الذي تحصل عليه المسلمون مقابل العطاء الأقل الذي كان من نصيب اليهود والنصارى مع أنهم عملوا أكثر من المسلمين، وحين غضبوا وقالوا: «نحن كنا أكثر عملاً وأقل عطاء؟! قال الله تبارك وتعالى: (هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟) قالوا: لا! قال: (فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء) (١).

ومثل ذلك الفضل الذي يحظى به المسلمون ما يحصل لهم يوم القيامة من مزية الشهادة على الأمم الذين ينكرون أن رسلهم بلغوهم كما في قصة «الأمة الشاهدة» (٢).

وكذلك كثرتهم العظيمة، حين يمر الأنبياء يوم القيامة بأممهم؛ حيث يمر النبي ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العصابة، والنبي ومعه النفر، والنبي وليس معه أحد، ثم يمر موسى عليه السلام ومعه كوكبة من بني إسرائيل، فيعجبون رسول الله ﷺ: فيسأل عنهم، فيقال له: هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيل فيقول ﷺ: «فأين أمتي؟» فيقال له: «انظر عن يمينك، فنظرت، فإذا الظِّراب(٣) قد سد بوجوه الرجال، ثم قيل لي: انظر عن يسارك. فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقيل لي: أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب!

(١) مسند الإمام أحمد، ج ٤ ص ١٢٩. ورواه الترمذي في السنن، ج ٥ ص ١٥٣ عن ابن عمر وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر القصة كاملة في مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٥٨.

(٣) الظراب بكسر الظاء المعجمة وتخفيف الراء المفتوحة: الجبال الصغيرة واحدها ظرب بفتح الظاء.

رضيت يا رب!، قال: فقيل لي: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» (١).

٤ ــ فتح باب الرجاء أمام الجادين في العودة إلى الله:

وقد تهدف القصة في دعوتها إلى إيجاد عواطف متجاوبة مع تعاليم الإسلام وأخلاقه وقيمه، وفي هذه الحالة تكون الدعوة موجهة بالدرجة الأولى إلى المسلمين أنفسهم خاصة، وإلى غيرهم بطريق غير مباشر ومثل هذه الدعوة نحسها تتردد في كثير من النصوص القصصية في بيان الرسول ﷺ نجد ذلك في قصة «قاتل المائة» ويقول فيها ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ قال: نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله عز وجل، فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله عز وجل. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي،

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب) المسند، شاكر ج ٥ ص ٣٠٧ و ٣٠٨.

فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»(١).

وكذلك في قصة «فاقد الراحلة» يقول ﷺ: .. لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ، وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده» (٢).

حيث نجد الترغيب في التوبة، في شكل يغري السامع ويحفزه إليها، وبصورة تخاطب عاطفة الإنسان ووجدانه.

٥ ــ مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقد يتوجه الترغيب في القصة إلى الالتزام بفروض الدين وواجباته بشكل مجمل، كما نجد في قصة «سفينة الحياة» قال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذَ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (٣).

---

(١) صحيح مسلم كتاب التوبة وقبولها وسعة رحمة الله، باب: قبول التوبة ممن قتل مائة نفس.

(٢) صحيح مسلم كتاب التوبة، باب: الحض على التوبة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: المظالم، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ج ٣ ص ١١١ وسورة الأعراف الآيات ١٦٤ - ١٦٦.

فهذا النوع من القصص يهدف إلى ترغيب الناس للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كواجب اجتماعي، تفرضه مصلحة مشتركة للفرد والجماعة، لما لذلك الواجب من آثار كبيرة في صلاح المجتمع كله، واستقامة أمره.

٦ ــ الحض على إقامة الفرائض:

كما نجد قصصاً ترغب في الصلاة والجهاد بشكل تفصيلي وتبين ما في ذلك من فضل وخير كما في قصة: «الملائكة المتعاقبون» يقول ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» (١) .

وفي قصة «أحياء يرزقون» يقول ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا، أنّا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم، قال فأنزل الله ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) (٣). وقصة «الذين قتلوا في سبيل الله» (٤).

---

(١) صحيح سنن النسائي باختصار السند للألباني ج ١ ص ١٠٥ كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٩ .

(٣) صحيح سنن أبي داود باختصار السند للألباني، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة ج ٢ ص ٤٧٩.

(٤) عن عبدالله في قوله: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ آل عمران آية ١٦٩ قال: أما أنا سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فبينماهم كذلك، إذ اطلع عليهم ربك اطلاعه. فيقول: سلوني =

وكما نجد في قصة «المتصدق» عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية! قال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني! قال: اللهم لك الحمد على غني، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على سارق! قال: اللهم لك الحمد، على زانية، وعلى غني، وعلى سارق، فأتي فقيل له: أما صدقتك فقد قبُلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته»(١). وقصصًا ترغب في الاخلاص كقصة «أصحاب الغار» (٢).

وفي قصة «الكفل» (٣) توجيه رائع إلى العمل الصالح ودعوة غير مباشرة إلى الخشية من الله والخوف من عذابه، تفهم من خلال سياق القصة،

=ما شئتم قالوا: ربنا! وماذا نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا نسألك أن ترد أرواحنا في أجسادنا إلى الدنيا حتى نقتل في سبيلك. فلما رأى أنهم لا يسألون إلا ذلك، تركوا» صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند للألباني كتاب الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله ج ٢ ص ١٢٩.

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب في قبول الصدقة تقع في غير أهلها.

(٢) قال ﷺ: «خرج ثلاثة فغيمت عليهم السماء فدخلوا غاراً فجاءت صخرة من أعلى الجبل حتى طبقت الباب عليهم فعالجوها فلم يستطيعوها فقال بعضهم لبعض: لقد وقعتم في أمر عظيم فليدع كل رجل بأحسن ما عمل لعل الله تعالى أن ينجينا من هذا فقال أحدهم اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت أحلب حلابهما فأجيئهما وقد ناما فكنت أبيت قائماً وحلابهما على يدي أكره أن أبدأ بأحد قبلهما أو أن أوقظهما من نومهما وصبيتي يتضاغون حولي فإن كنت تعلم أني إنما فعلته من خشيتك فافرج عنا قال: فتحركت الصخرة، قال: وقال الثاني: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عم لم يكن شيء =

وطريقة عرض أحداثها، وما تضمنته في تضاعيفها من قصص داخلية مؤثرة، صورت قيمة العمل الصالح وثمرته بطريقة ترغب فيه وتحث على فعله، وتحفز الإنسان بحق على التزامه.

٧ ــ الحض على فضائل الأخلاق

وهناك قصص ترغب في الأمانة والنزاهة كما في قصة «جرة الذهب» قال ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟

= أحب إلي منها فسمتها نفسها فقالت: لا والله دون مائة دينار فجمعتها ودفعتها إليها حتى إذا جلست منها مجلس الرجل، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت عنها فإن كنت تعلم إنما فعلته من خشيتك فافرج عنا قال: فزالت الصخرة حتى بدت السماء، وقال الثالث: اللهم إنك تعلم أني كنت استأجرت أجيراً بفرق من أرز فلما أمسى عرضت عليه حقه فأبى أن يأخذه وذهب وتركني فتحرجت منه وثمرته له وأصلحته حتى اشتريت منه بقراً وراعيها فلقيني بعد حين فقال: اتق الله وأعطني أجري ولا تظلمني فقلت: انطلق إلى ذلك البقر وراعيها فخذها، فقال: اتق الله ولا تسخر بي فقلت: إني لست أسخر بك فانطلق فاستاق ذلك فإن كنت تعلم أني إنما فعلته ابتغاء مرضاتك خشية منك فافرج عنا فتدحرجت الصخرة فخرجوا يمشون» صحيح البخاري، كتاب الإجاره، باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، وانظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال ج٢ ص ١١٦.

(٣) «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط! ثم نزل فقال: اذهبي فالدنانير لك، ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه قد غفر الله للكفل» مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال ج ٢ ص ٢٣، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ج ٤ ص ٢٥٥.

قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا (١).

٨ ــ الحض على الخوف من الله

وقصص ترغب في خشية الله وخوفه كقصة «الذي طلب أن يحرق» قال ﷺ: «إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي، فامتحشت - اي احترقت - فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً - شديد الريح - فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر له» (٢).

٩ ــ بيان مكانة الحب في الله

وقصص ترغب في الحب في الله كما في قصة «إني أحبه في الله» حيث يقول ﷺ: «خرج رجل يزور أخاً له في الله عز وجل في قرية أخرى فأرصد الله عز وجل بمدرجته ملكاً فلما مر به قال: أين تريد؟ قال: أريد فلاناً. قال: لقرابة؟ قال: لا، قال: فلنعمة له عندك تربها؟ قال: لا، قال: فلِمَ تأتيه؟ قال: إني أحبه في الله. قال: فإني رسول الله إليك إنه يحبك بحبك إياه فيه» (٣) وقصص ترغب في حمد الله وتمجيده ومداومة ذكره مبينة ما في ذلك من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٣) انظر مختصر صحيح مسلم للمنذري كتاب: البر والصلة، باب في المتحابين في الله عزوجل، ص ٤٧١، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال ج ٢ ص ٢٩٢-٤٨٢، ص ٥٠٨.

فضل عظيم، وما له من تقدير كبير عند الله تبارك وتعالى كما في قصة «الطوَّافون» (١).

والشيء الجدير بالملاحظة هنا أن الترغيب في تلك الأمور، يأتي في القصة بصورة غير مباشرة، أي أنها لا تأتي بشكل أوامر مباشرة وصريحة ولكنها ترغيب للسامع أو للقارئ من خلال الأثر الذي يحدثه العرض القصصي نفسه في العاطفة والوجدان، بما يتوافر لهذا العرض من تصويرٍ للحدث وإبرازٍ له في هيئة مشوقة من ناحية، لإثارة الانتباه، ومؤثرة في الوجدان من ناحية أخرى؛ بحيث تؤدي القصة في النهاية، ومن خلال العمل الفني فيها إلى أن تحقق غرض الدعوة إلى تلك القضايا والقيم. حين يعرض القرآن لهذا القصص بأسلوب متميز وفريد، ذلك الأسلوب الذي تحدى به العرب وهم أهل الفصاحة، تحداهم به في مبناه ومحتواه، فإنه إنما يصور مواقف تعليمية يقصد بها أن يغير سلوكهم من خلال عرض أحداث لها بدايات ولها مجريات وتتابع ولها نهايات.

(١) قال ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عزوجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب قال: فكيف لو رأوا جنتي. قالوا: ويستجيرونك. قال: ومما يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: يا رب فيهم فلان عبد خطّاء إنما مر فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» صحيح مسلم كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر لله عزوجل والدعاء والإستغفار.

obeikandl.com

المطلب الثاني: الوسائل الفعلية

أولاً : الرفق.

ثانياً: الحلم.

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الثاني: الوسائل الفعلية

١ ــ الرفق:

[الرفق ضد العنف. يقال رفق بالأمر وله وعليه، والرفق: لين الجانب](١) «ولطافة الفعل» (٢) وصاحبه رفيق فالرفق إذن هو: [لين الجانب، والأخذ بالأسهل وضد العنف] (٣).

ولقد رغب الرسول ﷺ بالرفق، ونلاحظ ذلك من خلال تطبيقه العملي لهذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى وذلك في الأمثلة التي سنتكلم عنها بعد بيان فضل الرفق وأهميته في الترغيب.

ففي فضل الرفق جاء عن عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه» (٤) «وإنما ذكر قوله «وما لا يعطي على ما سواه» بعد قوله: «ما لا يعطي على العنف» إيذاناً بأن الرفق أنجح الأسباب وأتقنها بأسرها (٥).

فالرفق في موضعه سبيل النفس إلى توازنها وتماسكها ورباطة جأشها وقبضها على نواصي الأمور لإصلاح الأمور وتقويم المعوجّ.

---

(١) انظر غريب الحديث، للإمام أبي إسحاق الحربي، باب: رفق ج ٣ ص ٣٥٤ (ط: اولى ١٤٠٥ هـ، دار المدني للطباعة والنشر، جدة).

(٢) انظر أساس البلاغة، للإمام جار الله الزمخشري ص ١٧١، تحقيق عبدالرحيم محمود (ب: ت، دار المعرفة، بيروت، لبنان).

(٣) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ج ١٠ ص ٤٤٩.

(٤) رواه البخاري في الأدب. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المدعو بعبدالرؤف المناوي ج ٢ ص ٢٣٧ (ط: ثانية، ١٣٩١ هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان) وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٤٦.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي ج ٢ ص ٢٣٧ (مرجع سابق)

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه» (١) إذ هو سبب لكل خير.

«ولا ينزع من شيء إلا شانه» أي: عابه قاله لها وقد ركبت بعيراً فيه صعوبة فجعلت ترده وتضربه» (٢).

أهمية الرفق في الترغيب

لقد خط رسول الله ﷺ للدعاة من بعده منهجاً في التعامل مع من يقعون في الأخطاء الشرعية يتجلى في ذلك المنهج الرفق بالمخطئ والأخذ بيده إلى الصواب والإشفاق عليه من جريرة خطئه والبعد عن مقابلته بالعنف والقهر أو التشنيع والاحتقار أو السخرية والازدراء إذ إن هذا الأسلوب القاهر ربما يتولد عنه صفتان سلبيتان بالنسبة للمنكر عليه: أولاهما: إذلال نفسه وتحطيم شخصيته وفي هذا ما فيه من ذوبان العزة وإمحاء الكرامة (٣) والمخطئ وإن وقع في الخطأ فالذي ينبغي إشعاره بأن نفسه لا تزال تحمل الخير وتنطوي على عزيمة على الرشد إذا أوقظت ونبهت وإحساس المرء بكرامة نفسه يرفعه عن كثير من السفاسف كما أن هوان نفسه يغريه بمزيد من التعثر والانكباب على المعصية.

وثانيتهما: أنه ربما أدى هذا الأسلوب إلى عناد من المخطئ وإصرار على الذنب بل والبحث عن مسوِّغ له وفي ذلك ما فيه من الضرر العظيم ويتضح ذلك في هاتين الصورتين اللتين نعرض لهما.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، رقم الحديث (٢٥٩٤) ج ٤ ص ٢٠٠٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ج ٤ ص (مرجع سابق).

(٣) لا بد أن يستحضر الداعي في كل خطوة من خطوات دعوته وعلاجه للعاصي الرغبة في هدايته وإصلاحه، ويلزم من ذلك عدم تعييره أو التشهير به لأن وظيفته الهداية لا التشفي والتبشير لا التنفير، لما =

من صور الرفق الترغيبية:

١ ــ روى الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن أنس (رضي الله عنه) أنه قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاءه أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ مه مه - وهذه كلمة زجر - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه دعوه» فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر وإنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن قال فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه» (أي فصبه عليه) (١).

لقد استقبل رسول الله ﷺ حماقة هذا الأعرابي وسوء صنيعه بالحلم فأرشده إلى الصواب برفق وتؤدة وسرعان ما ظهر أثر ذلك على المدعو فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «لقد حجرت واسعاً» ثم قال: «إنما بُعثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين» (٢) فالداعية والمدعو في مسيس الحاجة إلى هذا الأسلوب المرغب في الدعوة إلى الله.

= شرب أبو جندل أقيم عليه الحد فوسوس وأصيب بحالة نفسية سيئة بسبب نظرة بعض الناس إليه واحتقارهم له فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فكتب لأبي جندل: من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي جندل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الزمر، آية: ٥٣. ثم كتب كتاباً للناس وأمر بأن يقرأ عليهم وفيه: إن عليكم أنفسكم ومَنْ غيَّر- أي من المعصية إلى الطاعة وتاب - فغيروا عليه - أي نظرتكم - ولا تعيّروا أحداً فيفشوا فيكم البلاء.

(١) صحيح مسلم، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، ح ٢٨٥، ١/ ٢٣٧، وشرح النووي ج ٣، ص ١٩١ وسنن ابن ماجة، أبواب الطهارة، ح ٥٥١، ج ١ ص ٩٩، وصحيح سنن ابن ماجة، للألباني ١/ ٨٧.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب: ما جاء في البول يصيب الأرض، ج ١ ص ٩٩ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والتحمل للمخطئ وإرشاده إلى الصواب برفق وتؤدة ليس من خصائص المخطئ لأول مرة بل هو منهج يسع مَنْ أكثر من المعصية إذا ظهر ضعف إرادته وغلبة العادة عليه ففي الرفق به استنقاذٌ له من وهدة المعصية، وماذا يفيده مزيد تشنيع وتوبيخ (١).

وفعل النبي ﷺ مع هذا الأعرابي لا يعني عدم تنبيهه على خطئه وزجره عنه بالرفق المناسب لظروفه ونوعية الخطأ وظروف الخطأ وملابساته ودوافعه بل الواجب الإرشاد إلى الصواب والتوضيح للخطأ.

فقد علّم النبي ﷺ ذلك الأعرابي ما يجب عليه بعد أن فرغ من بوله فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر وإنما هي لذكر الله عزوجل والصلاة وتلاوة القرآن» (٢). يقول الإمام النووي: وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً (٣) فكيف كان وقع الرفق على الأعرابي؟

إننا نلاحظه في قول الأعرابي الذي نقله الإمام ابن ماجة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: فقال الأعرابي بعد أن فقه: فقال لي: بأبي وأمي فلم يؤنِّب ولم يسبّ..» (٤).

---

(١) ولقد اشتهرت قصة ذلك الذي أولع بالخمر في زمن رسول الله ﷺ وقد ضرب عليها مراراً فلم ينته حتى قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ وقد جيء بهذا الشارب ليضرب ماله لعنه الله! ما أكثر ما يؤتى به!! فما كان من المصطفى إلا أن نهاهم عن مثل هذا الأسلوب فقال: «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك» أو «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم» وفي رواية «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله» البخاري، كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعْنِ شارب الخمر، ح٦٧٨٠ و ٦٧٨١، وفي الفتح، ج ١٢ ص ٧٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب غسل البول في المسجد، وصحيح سنن ابن ماجة، ح ٥٥١، ج ١ ص ٨٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص ١٩١.

(٤) صحيح سنن ابن ماجة، أبواب: الطهارة، باب: الأرض يصيبها بول كيف يغسل؟ وقال الألباني: حسن صحيح ج ١ ص ٨٧.

(سبحان الله يفدي رسولَ الله ﷺ بأبويه قبل أن يخبر الناس بما قاله ﷺ له فما الذي حمله على هذا؟ إنه الرفق) (١).

وقد كان ﷺ ينبِّه المخطئ لخطئه دون أن يكسر نفسه ويذل عزته، وكثيراً ما كان ﷺ يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا...» (٢).

فبهذا الأسلوب غير المباشر في التوجيه يحترم آدمية الإنسان ويبين أن الهدف من التشريع هو الإصلاح لا التشهير فالتشهير بالمخطئ قد يدفعه إلى الإصرار على السير في طريق الخطأ والخطيئة.

٢ ــ ويبلغ الرفق مداه حينما يُعلم ﷺ المخطئ بالأمر الواجب عليه دون أن يكاشفه بقوله أخطأت أو أسأت.

روى معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثُكل أماه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمِّتونني (أي يسكتونني) لكني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (٣).

---

(١) انظر من صفات الداعية الرفق واللين، د. فضل إلهي ظهير، ص ٢٦ (ط: أولى ١٤١١ هـ، إدارة ترجمان الإسلام، سي، باكستان).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: المكاتب، باب: ما يجوز من شروط المكاتب، ح ٢٥٦١، والفتح، ج ٥ ص ١٨٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد، مواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ح ٥٣٧، ١/ ٣٨١ - ٣٨٢، وشرح النووي ٥/ ٢٠.

وهذا «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ورأفته وشفقته عليه، وفيه التخلق بخلقه والرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه» (١).

ثم قال معاوية قلت: يا رسول الله إني حديث عهد به (أي بالكفر) - (ما أسرع أثر الرفق! يا ليتنا نعي هذه الحقيقة عومل الرجل برفق وفهم بلين فأدرك حقيقة تصرفه ومنبعه ومنشأه وظهر ذلك من قوله: (إني حديث عهد بكفر) (٢) - وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان! قال: «فلا تأتهم» قلت: ومنا رجال يتطيرون قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم» (٣).

(لقد أثر الرفق في معاوية بن الحكم وأدرك أن ما صدر منه كان بسبب قرب عهده بالجاهلية، فبدأ يستفسر عن الأمور التي كانت شائعة في الجاهلية كي يتمكن من اجتنابها - إن كانت محرمة - بدل أن تظهر عليه فينكر عليه)(٤).

انظر إلى اكتفاء المصطفى ﷺ من ذي قوله: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس» دون أن يعامله بالزجر والتقريع ولقد شرح ﷺ بهذا الأسلوب نفسية معاوية فدفعه إلى أن يسأل عن أخطاء يقع فيها هو وقومه حتى سأله عن الكهان والمتطيرين.

أرأيت لو أُذلت نفسه بالعتاب أكان يجترىء على هذا التفقه في أمر

(١) شرح النووي، ج ٥ ص ٢٠ (مرجع سابق).

(٢) انظر من صفات الداعية اللين والرفق، فضل إلهي، ص ٢٤ (مرجع سابق).

(٢) شرح النووي علي صحيح مسلم، ج ٥ ص ٢٢ - ٢٣ (مرجع سابق).

(٤) انظر من صفات الداعية اللين والرفق، فضل إلهي، ص ٢٤ (مرجع سابق).

دينه؟ إن ما تلحظه من المخطىء من أخطاء لا يعني ذلك أن هذا هو كلُ ما عنده.

لقد أدناه بالرفق ﷺ إلى نفسه فأحب معاويةُ الرسول ﷺ فباح له بما عنده، فساهم في إصلاحه وتوجيهه وتلك غاية الداعية الصادق.

لقد كان ﷺ يدرك أن وقوع المرء في الخطأ لا يعني بالضرورة إساءة الظن به، ورميه بسوء الطويَّة وخبث الدافع، فإن قابلت شريف النفس، حسن القصد بمثل هذا فقد قابلته بما يعلم من نفسه ضده فأدى ذلك إلى إعراض عن نصحك أو على الأقل إلى فتور بالأخذ به وعدم حماس لتطبيقه وتلك نتيجة لا يريد الداعي الصادق الوصول إليها.

ولقد كان ﷺ يصب هذه الوصايا في آذان الدعاة حينما يبعثهم معلمين ومفقهين وداعين - أعني: نهج سبيل التيسير، والتجافي عن مسالك التعسير، والإقبال على التبشير، والبعد عن التنفير - فها هو ﷺ يرسل معاذاً وأبا موسى الأشعري (رضي الله عنهما) إلى اليمن ويقول لهما: (يسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا) (١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (في الحديث الأمر بالتيسير والرفق بالرعية وتحبيب الإيمان إليهم وترك الشدة لئلا تنفر قلوبهم ولا سيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام أو قارب حد التكليف من الأطفال ليتمكن الإيمان من قلبه ويتمرن عليه) (٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: (يسرا ولا تعسرا...) ح ٦١٢٤، والفتح، ج ١٠ ص ٥٢٤، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ح ١٧٣٣، ج ٣ ص ١٣٥٩، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، باب: الأدب، ح ٦١٢٤، ج ١٠ ص ٥٢٤.

٢ ــ الحلم:

[الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب] (١).

وعُرِّف: [بأنه حالة يظهر معها الوقار والثبات عند الأسباب المحركة للغضب، أو الباعثة على التعجل في العقوبة] (٢) .

الفرق بين الحلم وكظم الغيظ:

قد يشتبه الحلم بكظم الغيظ، مع أن هناك فرقاً بينهما (فكظم الغيظ هو التحلم، أي تكلف الحلم، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في الكظم من كتمان ومقاومة واحتمال، وأما الحلم فهو فضيلة أو خلق يصبح كالطبيعة، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه على صاحبه وانكسار قوة الغضب عنده، وخضوعها للعقل. ولكن هناك ارتباط بين الحلم وكظم الغيظ، لأن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم وهو كظم الغيظ(٣).

صور من حلمه ﷺ:

وإن حقيقاً بالدعاة إلى الله أن يقفوا طويلاً أمام سيرة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ليدركوا منهج التعامل وأسلوب التبليغ ويتعلموا معاني الحلم والصفح وغيرهما مما لا غناء بالداعية إلى الله عنه.

١ ــ روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبدالله (رضي الله

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب، ص ٢٥٣ (مرجع سابق).

(٢) موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، ج ١ ص ١٨٢ (ط: ثالثة ١٤٠٧ هـ، دار الرائد العربي).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي، ج ٣ ص ١٦٧ (مرجع سابق).

عنه) أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم فأدركتهم القائلة يوماً في واد كثير العضاة - أي الأشجار - فنزل النبي ﷺ وتفرق الناس في العضاة يستظلون في الشجر ونزل رسول الله ﷺ يستظل تحت شجرة فعلّق بها سيفه قال جابر: فنمنا بها نومة ثم إن رسول الله ﷺ يدعو فأتيناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفه وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت الله، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله، فشام (١) السيف وجلس» فلم يعاقبه النبي ﷺ وقد فعل ذلك.

لقد أصاب ذلك الأعرابي غرةً من النبي ﷺ إذ كان نائماً وكان السيف معلقاً في الشجرة فعمل كل ما يستطيع ليقتل النبي ﷺ لكن الله حال بين ذلك الأعرابي وبين مراده بصدق توكل المصطفى ﷺ على ربه فسقط السيف من يد ذلك الأعرابي فلما أمسك النبي ﷺ بالسيف قال: للأعرابي: من يمنعك مني؟ فلم يذكر أحداً (٢).

لقد استحق ذلك الرجل العقوبة الرادعة فقد شرع في أوَّل مقدمات القتل وهو قتل لأشرف الخلق المبلّغ عن الله والاعتداء عليه ليس اعتداء على نفس محرمة فقط، ولكنه اعتداء على مقام النبوة والبلاغ عن الله، ولكنه ﷺ لم يوقع هذه العقوبة مع قدرته الكاملة على إيقاعها وضعف جانب الجاني ومهانته.

---

(١) شام: أنحى، غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ج ٣ ص ١٥٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج ٣ ص ٣٦٤ - ٣٦٥، ومختصر صحيح مسلم للمنذري، وتحقيق الألباني ص٤١١.

(وهذا التطبيق العملي للحلم منه عليه الصلاة والسلام لم يكن مرة واحدة أو مرتين بل كان منهجاً في العمل للدعوة) (١).

فقد وردت قصة أخرى شبيهة بهذا ولعلها حادثة أخرى في محاولة أخرى لقتله ﷺ فقد روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جعدة بن خالد الجشمي قال: سمعت النبي ﷺ ورأى رجلاً سميناً فجعل النبي ﷺ يومئ إلى بطنه بيده ويقول: «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك» قال: وأُوتي النبي ﷺ برجل فقالوا: هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي ﷺ: لم تُرع لم تُرع ولو أردت ذلك لم يسلطك الله علي. (٢).

لقد تعرض صلوات الله وسلامه عليه لمحاولات القتل مرات عديدة وفي كل هذه المرات لم يعاقب أولئك الجناة الذين يستحقون العقوبة والنكال ولعله صلوات الله وسلامه عليه أراد بهذا أن يسن للأمة من بعده وللدعاة على وجه الخصوص احتمالَ مثل هذا الأذى والصبر على مثل هذه الرزايا ليدرك الناس ما عند الداعية من رحمة بالخلق وحبٍ لإيصال الخير إليهم وبُعدٍ عن روح التشفي وإيقاع العقوبات.

والناس قد تأخذهم أحياناً صورة العقوبة فيكرهونها ويضيقون بها وينسون سبب العقوبة الذي هو مساوٍ للعقوبة أو أشنع وحين ذاك فالداعية حريص على أن يفهم الناس مقاصده وماذا أراد بهم من خير.

---

(١) انظر سيكولوجية الرأي والدعوة، د. رؤوف شلبي ص ٢٠٣ (دار العلم، الكويت، ط: ثانية ١٤٠٢ هـ).

(٢) مسند الإمام أحمد، ج ٣ ص ٤٧١ (ط: المكتب الإسلامي).

وثمة معنى آخر أن الحلم على المسيء من أعظم المؤثرات على المسيء ليثوب إلى رشده، ويعود عن بطشه، ويستبصر من جديد في الحق الذي جاء به ﷺ والمبدأ الذي وقف له شانئاً وعن ورود حياضه مدافعاً.

ثم أليس للناس درس ومعتبر في ذلك الحلم فيدركون أحقية دين هذا الداعية وتمكنه ورسوخه في تحقيق الخير للناس ودفع الشرور والأذى عنهم.

إن صورة القتل من أعظم بل هي أعظم صور الإيذاء وإن ضبط النفس وعدم المطالبة بإيقاع العقوبة على المعتدي من أشق ما على النفوس ولكن الداعية الأول والمربي الأجلّ صلوات الله وسلامه عليه لا يقابل مثل هذا إلا بمزيدٍ من الحلم وكثيرٍ من الصفح.

وإن صبره ﷺ على الأذى في سبيل إيصال الدعوة إلى الله هو المنهج الحق في تعامل الداعية مع المدعوين ما دام أنه يحمل روح الإشفاق عليهم ومحبة الخير لهم ويتمنى هدايتهم واستقامتهم وصلاحهم وفلاحهم.

٢ ــ روى مسلم في صحيحه عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عزوجل قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - وهما جبلا مكة جبل أبي

قبيس والجبل الذي يقابله - فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» (١).

٣ ــ وجاء في صحيح الأخبار أن الله تعالى لما أراد هداية زيد بن سعنة- الحَبرْ اليهودي - قال زيد: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً فكنت ألطف له لأخالطه فأعرف حلمه من جهله قال زيد فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله إن بصرى قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً وقد أصابتهم سَنَة وشدة وقحوط من الغيث فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت فنظر إلى رجل إلى جابنه أراه علياً رضي الله عنه فقال: يا رسول ما بقي منه شيء. قال زيد بن سعنة فدنوت إليه فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا فقال: «لا يا يهودي ولكني أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا تسمي حائط بني فلان» قلت بلى فبايعني فأطلقت هميياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا فأعطاها الرجل فقال: «اغد عليهم فأعنهم بها» فقال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمطل ولقد كان لي بمخالطتكم علم ونظرت إلى عمر إذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول

(١) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، وفي شرح النووي، ج ١٢ ص ٢١٤ و ٢١٥.

لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: «يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الطلب، اذهب به يا عمر وأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعْته» قال زيد: فذهب بي عمر (رضي الله عنه) فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعْتك، قلت: أو تعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر لم تكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه الا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فقد أخبرتهما فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وأشهدك أن شطر مالي - وإني أكثر اليهود مالاً - صدقة على أمة محمد فقال عمر (رضي الله عنه) أو على بعضهم فإنك لا تسعهم قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفي زيد في غزوة تبوك(١).

والشواهد على استخدامه ﷺ هاتين الوسيلتين في الترغيب كثيرة وفيرة نكتفي بما ذكرناه منها.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج ٦ ج ٥ ص ٢٥٣، ٢٥٤ و ٢٥٥، وانظر الخبر بتمامه في سيرة الذهبي ص ٩١ و ٩٣ وقال المحققان في تخريجه: أخرجه ابن حبان في صحيحه - زوائد ابن حبان، ص٥١٦، ٢١٠٥، والحاكم ج ٣ ص ٦٠٤ - ٦٠٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث، وقال الهيثمي في المجمع ج ٨ ص ٢٤٠، رجال الطبراني ثقات، وقال ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٥٤٨، ٥٦٦: رجال الإسناد موثوقون.

الأحوال التي يعدل فيها عن الرفق والحلم إلى الشدة والغضب:

ولكن النبي ﷺ وهو يستخدم مع أمته الرفق كان يحتد في بعض المواقف وعند بعض الأحوال فليس صواباً أن الأخطاء من باب واحدة ولا المخطئين أيضاً فما هي تلك المواقف التي كان يشتد ويحتد فيها؟ وما فقهها؟

نجد المصطفى ﷺ يشتد في الموعظة أحياناً ولكن حتى في هذه الحالة لا يخرج صلوات الله وسلامه عليه إلى هجر من القول ولا إلى فاحش من الكلام، وإنما يشتد النبي ﷺ في الموعظة والتعليم والتوجيه في مواطن محددة أشير إلى بعض منها:

١ ــ حين يتعلق الخطأ بأمر العقيدة أو أمر الشريعة فلقد رأى ﷺ عمر يقلب صحائف من صحائف أهل الكتاب فاشتد عليه في الإنكار وقال:

«أوَ متهوكون(١) فيها يا ابن الخطاب والله لوكان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» (٢).

٢ ــ حين يتعلق الخطأ بالابتداع العملي في استحداث عبادات لم يأذن بها الشرع ولم تأت بها النصوص. ولا يشفع لمثل هؤلاء أنهم يريدون الخير

---

(١) أي متحيرون. إرواء الغليل، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، ج ٦ ص ٣٤ بإشراف زهير الشاويش، ط: ثانية ١٤٠٥ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق).

(٢) قال الألباني في إرواء الغليل، في تخريج أحاديث منار السبيل ج ٦ ص ٣٤: حسن، أخرجه أحمد، وله شواهد كثيرة تقويه فقد جاء هذا الحديث بطرق متباينة، وألفاظ متقاربة فهو على أقل تقدير حديث حسن والله أعلم.

ويقصدون الرشاد فإن انحرافهم لا يقتصر عليهم بل هو رسم منهج يشيع في الأمة ويسلكه الكثيرون.

نعم قد تدرأ عنهم العقوبة إذا عرف حسن توجههم ولكن درء العقوبة شيء والمهادنة مع الباطل المستطيل شيء آخر، لقد أراد ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أن يزيدوا حظهم من التعبد ورصيدهم من الحسنات فذهبوا إلى بعض بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته فربما كان يتعبد عبادةً في بيته لا يفعلها بين الملأ حتى لا يشق عليهم فلما أخبروا بما كان منه ﷺ رأوا ذلك قليلاً - وكان يكفيهم ذلك الذي ظنوه قليلاً ولكنهم التمسوا لأنفسهم مسوغاً في استحداث تعبُّدٍ جديد - فقالوا: هذا رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأين نحن منه، ثم قال أحدهم: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: وأما أنا فلا أتزوج النساء، فلما سمع ﷺ عن شأن هؤلاء الثلاثة قام خطيباً ثم قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (١) (٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ أنا أعلمكم بالله، وصحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح.

(٢) قد يقول قائل: وما ضرر مثل هؤلاء على الناس إن زادوا عبادة من العبادات؟

والجواب عن هذا أن التعبد في أصله لا يكون إلا من لدن الله وفي هذا المسلك افتيات على الحق سبحانه، وهو متضمن رمي الشريعة بالنقص ثم هو سبيل إلى ضياع المشروع في وسط بحار البدع التي لا تنتهي.

٣ ــ إذا كان الخطأ يمثل تمزيقاً لأواصر المجتمع وتشتيتاً للبناته وقضاءً على وحدته وتماسكه فها هو ﷺ يزجر عائشة بطريقة فيها لون من الشدة حينما اعتدت على حق ضرة من ضرائرها من أمهات المؤمنين فقد قالت رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا.. - تعني أنها قصيرة - فقال ﷺ: «يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»(١) يعني ﷺ أن هذه الإشارة وهي لا تزال إشارة جديرة من شدة وقعها أن تعكر بحراً على عمقه وسعته وكثرة مائه.

٤ ــ ومن المواطن التي يشتد فيها إنكار النبي ﷺ، تلك المواطن التي يتنادى فيها الناس بغير الإسلام ويتجمعون على روابط أرضية، أو مفاهيم بشرية ما أنزل الله بها من سلطان، فقد تنادى الأوس والخزرج يوماً من الأيام فقال الأوس: «يا لَلأُوس»، وقال الخزرج: «يا لَلْخزرج» (٢)، وكادوا يقتتلوا بعد أن قذف يهودي خبيث بينهم بهذه العصبية المقيتة بعد أن غذاها بذكريات الماضي المليئة بالشحناء والعداوة والبغضاء فأنساهم ألفة الإسلام وحال بينهم وبين أخوة الدين فعادوا إلى ذكريات جاهلية وعصبيات قبلية وهنا خرج ﷺ مغضباً يقول لهم: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم!!»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، في كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، ج ٤ ص ٢٦٩، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية، وفي فتح الباري ج ٦ ص ٥٤٦، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية، وفي فتح الباري ج ٦ ص ٥٤٦، وصحيح مسلم ،كتاب: البر والصلة.

إن التنادي بالعصبيات الأرضية والقوميات البشرية وكذا التنادي بالوطنية والإقليمية وكذا الأسرية والعشائرية (١) كل هذه رايات جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان إذا حالت بين ترابط المؤمنين وشتت شملهم وأبعدت ما بينهم من انسجام وقطعت ما بينهم من تراحم، والنبي ﷺ اشتد في هذا الموطن لأنه موطن له ما بعده..

فلو ألان القول أو سامح في المعذرة لأدى ذلك إلى انصداع المجتمع المسلم المدني وهو في بداية نشأته أحوج ما يكون إلى الترابط والتراحم والتكاثر. ومن هنا فإن المعاصي التي تمتد آثارها إلى بقية الناس ليست كتلك المعاصي التي يقتصر ضررها على صاحبها فإن جهة التضرر ليست واحدة فلا يسلك بها سبيل المعصية الواحدة.

لهذا ولغيره اشتد إنكاره ﷺ على مثل هذا الخطأ.

---

(١) إن التنادي بهذه الرايات يعني الوقوع في جملة محاذير:

أولها: استبدال هذه الرايات بالإسلام وفي هذه عزوف عن الشريعة ومحبة لتلك العصبيات وقد يصل الاستبدال إلى أعلى درجات المعاصي.

ثانيها: أن المسلمين إنما تكون لهم الشوكة ويعز لهم الجناب ويتحقق لهم التمكين إذا اجتمعوا على رابطة الدين التي لا تفرق بين الناس ببلدانهم وأجناسهم ولغاتهم لأن الدين جاء للبشر أجمعين: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ سورة الحجرات، آية: ١٣.

ثالثها: أن هذه الرايات لا تمثل منهجية عقدية ولا نمطاً تشريعياً محدداً وعليه فإن المنطوين تحت لوائها سيشرعون لأنفسهم بحسب أهوائهم وشهواتهم وسينزلون أقواماً منهم منزلة الإله في التشريع والتحليل والتحريم وما سوى ذلك وذلك هو الكفر الصريح الذي لا شك فيه.